

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الفضيلة الواهبة

- ١ -

وبعد أن ودع زارا مدينة (البقرة الملوثة) التي شغل قلبه بها، شيعه عدد غفير من كانوا يدعون أنفسهم أتباعه حتى بلغوا إلى منعطف الطريق، فقال زارا إنه يريد متابعة سيره وحده. فودّعه أتباعه وقدموا إليه عصا قبضتها من ذهب بشكل أفعى ملتفة حول الشمس، فسر زارا من هذه الهدية واتكأ عليها قائلاً لأتباعه:

— قولوا لي، لماذا أصبح الذهب ذا قيمة؟ أليس لأنه نادر ولا فائدة منه، ولأنه وديع في لمعانه، ويذل نفسه في كل حين؟ لم يبلغ الذهب أسمى مراتب الأشياء القيمة إلا لأنه رمز لأسمى الفضائل، فعين الواهب برّاقة كالذهب، ووهج الذهب رسول سلام بين النيرين.

إن أسمى الفضائل نادرة ولا نفع منها، فهي توهج بنورها الهادي، وليس بين الفضائل من يطاول فضيلة السخاء.

والحق، أتى شاعر برغبتكم، أيها الصحاب، فانكم تطمحون مثل طموحي إلى الفضيلة الواهبة، فأتم تريدون أن تحولوا نفوسكم إلى هبات وعطايا، وإلا لكتّم أشبه بالحررة والذئاب. ولهذا تتعطشون إلى حشد جميع الكنوز في أنفسكم فهي لن ترتقي من جمع الجواهر والكنوز لأنها ظامنة أبدأ إلى العطاء. تحتذبون كل ماحولكم ليتسرب إلى داخلكم فينفجر ينبوعكم بها كأنها هبة من محبتكم.

إن الحجة السخية الواهبة تستحيل إلى لص يمد يده إلى جمع الأشياء القيمة، وما أرى هذه الأناية إلا عملاً صالحاً مقدساً.

غير أن هنالك أناية أخرى تدهورت إلى أدنى درجات

المسكنة في مجاعتها المتحكمة أبداً فيها، تلك هي الأناية التي تطمح إلى السرقة في كل آن، فهي أناية المرض بل هي الأناية المريضة، تحدج كل شيء بنظرات اللص وبهم الجائع، فترن لقبات الآكلين من أبناء النعمة وتدب أبدأ حول موائد الواهبين. وما مثل هذه الشهوة إلا عرض الداء الدفين ودليل الانحطاط الخفي، وما الطموح إلى السرقة بمثل هذه الأناية إلا نزعة من نزعات الجسوم العليقة

أي شيء نراه أقبح الأشياء، أيها الأخوة، أفليس الانحطاط أقبحها؟ وهل يسعكم إلا أن تحكموا بانحطاط مجتمع لا أثر لروح السخاء والعطاء فيه.

إن سيلنا يتجه إلى الأعلى، وما نقصده إنما هو الارتقاء من نوع إلى نوع، لذلك نرتعش عند ما نسمع الانحطاط يهتف قائلاً: (لي كل شيء).

وهل روحنا إلا رمز لجسدنا وهي تطمح إلى الاعتلاء، وهل الصفات التي ندعوها فضيلة إلا عبارة عن هذه الرموز عيناها؟

إن الجسد يقطع مسافات التاريخ بكفاحه، ولكن ما تكون الروح من الجسد يا ترى إن لم تكن المزيغ لكفاح الجسد واتصاراته؟ وما الجسد إلا الصوت، وما الروح إلا الصدى الناجم عنه والتابع له. ليست الكلمات الموضوعة للدلالة على الخير والشر سوى رموز فهي تشير إلى الأمور ولا تعبر عنها ولا يطلب المعرفة فيها ومنها إلا المجانين

انتهوا، أيها الأخوة، إلى الزمن الذي يطمح فكركم فيه إلى البيان بالرموز لأن في هذا الحين تكون الفضيلة فيكم، وفيه يعث جسدكم ويتجه إلى الأعلى يجتذبا عقلكم من سكونه ليدفع به إلى مراحل الإبداع حتى إذا ما سار عليها عرف قيمة الأشياء وأحب فأجاد في كل أعماله

في الزمن الذي يختلج فيه قلبكم تكون فضيلتكم لأن هذا القلب يفيض باختلاجه كالنهر العظيم فيغمر القائمين على ضفافه بالبركة كما يهددم بأشد الأخطار

إنما تنشأ فضيلتكم عند ما يعجز المدح والذم عن بلوغ شعوركم، فتطمح إرادة الرجولة فيكم إلى السيادة على كل شيء.

إن الجسد يطهر بالمعرفة ، فيرتفع بمرائه على العلم ، لأن من يطلب الحكمة يطهر جميع غرائزه ، ومن ارتقى فقد أدخل المسرة الى نفسه

أعن نفسك ، أيها الطبيب ، لتتمكن من إعانة مريضك . إن خير ما تبذله من معونة لهذا المريض هو أن يرى بعينه أنك قادر على شفاء نفسك

إن في الأرض من السبل ما لم تطاها قدم بعد ، فما أكثر مجاهلها وما أكثر خفاياها !!

اسهروا واتبهوا أيها المنفردون لأن من المستقبل تهب نسائم سرية حاملة بشائر لا تفرح الا الأذان المرفعة

إنكم في عزلة عن العالم ، أيها المنفردون ، ولكنكم ستصبحون شعباً في آتي الزمان ، ومنكم سيقوم الشعب المختار لأنكم اخترتم أنفسكم اليوم . ومن هذا الشعب سيولد الانسان الكامل .

والحق أن الأرض ستصبح يوماً مستشنى للأعلاء ، فإن في نشرها عيباً جديداً هو عيب الاخلاص والامل الجديد .

- ٣ -

وسكت زارا كن يقف عند كلمة تتلجلج في فمه ، وبعد أن قلب عصاه طويلاً بين يديه ، أطلق صوته وقد تغيرت نبراته فقال :

- سأذهب وحدي الآن ، أيها الصحاب ، وأنتم أيضاً ستذهبون بعدى وحدكم لأنني هكذا أريد .

هذه نصيحتي إليكم ، ابتعدوا عني وقفوا موقف الدفاع عن أنفسكم تجاهي ، بل اذهبوا إلى أبعد من هذا ، انخلجوا من أتسابكم إلى قلقد أكون لكم خادعاً .

على من يطلب الحكمة ألا يتعلم حجة أعدائه فحسب بل عليه أيضاً أن يتعلم بغض أصدقائه . وما يعترف التلميذ اعترافاً تاماً بفضل أستاذه إذا هو بقى أبداً له تلميذاً . لماذا لا تريدون أن تحطموا تاجي ؟

إنكم تحوطونني بالاجلال ، ولكن ماهي الكارثة التي توقعونها من إغراضكم عني ، إن في رفع الأنصاب لخطراً فاحترسوا من أن يسقط عليكم التمثال المنصوب فيقضى عليكم تقولون إنكم تؤمنون بزارا ، ولكن أية أهمية له ؟

إنما تنشأ فضيلتكم عند ما تحترقون النعم والفراش الوثير وعندما لا تجدون راحة الا بعيداً عن مواطن الراحة

إنما تنشأ فضيلتكم عند ما تنصب ارادتكم على مقصد واحد ، وعندما يصبح هذا التحول في آلامكم ضرورة لا يسعكم التحول عنها أفليس هذا شكلاً جديداً للخير والشر ؟ أفأسمعون بهذا القول خريير الينبوع العميق الذي غربت مسالكه من قبل عنكم ؟ إنها لفضية جديدة تمنح الانسان قوة وتبعث فيه عزماً ، هذه الفكرة المتحركة فيروح بلفت الحكمة لأنها شمس مذهب التفت عليها أفعى الحكمة

- ٢ -

وصمت زارا مرسلًا نظرات الحب الى أتباعه ، ثم ارتفع صوته بنبرات جديدة قائلاً : - اخلصوا للأرض ، يا إخوتي ، بكل قوى فضيلتكم . لتكن محبتكم الواهبة ولتكن معرفتكم خادمتين لروح الأرض ، إني اطلب هذا متوسلاً

لا تدعوا فضيلتكم تنسلخ عن حقائق الأرض لتطير باجنحتها ضارية أسوار الأبدية ، ولكم ضلت من فضيلة من قبل على هذا السيل

أرجعوا الفضيلة الضالة كما رجعت بها أنا الى مرتبتها في الأرض . عودوا بها الى الجسد والى الحياة لتنفخ في الأرض روحها ، روحاً بشرية

لقد تاه العقل ونامت الفضيلة فهدعتهما آلاف الأمور ، ولما يزل هذا الجنون يتسلط على جسدنا حتى أصبح جزءاً منه فتحول فيه الى ارادة

لقد قام العقل وقامت الفضيلة معه بتجارب عديدة فضلا على ألف سيل ؛ وهكذا أصبح الانسان عبارة عن تجارب ومحاولات ألصقت بنا الجهل والضلال . وليس ما استقر فينا من التجارب حكمة الأجيال فحسب ، بل جنونها أيضاً . ولكم يتعرض الوارثون الى أخطار

إننا لم نزل نصارع جبار الصدق ، ولم يزل العتة سائداً على الإنسانية حتى اليوم

ليكن عقلكم وفضيلتكم بمثابة روح للأرض وعقل لها . أيها الأخوة ، فتجدد بكم قيم الأشياء جميعها ، من أجل هذا وجب عليكم أن تبدعوا

حديث الزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

السرو

- كنت ولداً لأول مرة جلست فيها تحت ظلك يا شجرة السرو حين كانت أسراب الحمام تفتح أجنحتها للريح فاتبعها من روحى بأطيار تشق الأثير متجهة نحو السماء .
وهأنذا أتقدم اليوم بيطه تحت أغصانك لأطرح على الأرض جسدى المتعب وقد وقفت وروحى عن تباع الأطيار فى اعتلائها . لقد صار الولد شيخاً .
لم نزل تظللنى أغصانك أيتها السروة ، وقد أصبح جذعك متكاً ليدى المرتجفة ، فأقف مستنداً إليه وأجبل أبصارى بين القبور حيث يرقد أجدادى وحيث أرقد أنا غدا .
- ما أجملك ، أيتها السروة ، وأنت متجهة إلى ما فوق كصلاة المؤمنين ، وحينما يمر الهواء بين أغصانك يخيل إلى المستغرق تحت ظلالك أنه يسمع ما تسر إليه قلوب أحبابه وقد استحالت إلى تراب فى القبور .
لقد مرت على صداقتنا السنون أيتها السروة الهرمة ، ومنذ أول عهدى بك لم أزل أتفياً غصونك لانا جيك مفكراً فى زوال الآبام . أنت أعرف منى بحالى ، فأنا أستشهدك على إيمانى بالخلود واحتقارى لكل مرتجف أمام الفناء .
أحبك أيتها الأغصان القائمة . أحبك يا زهرة المدافن لأنك رمز الراحة والسكون لمن أتعبته حركة الحياة إلى متى تنطلق روحى من أسرها فتجول فى الفضاء الفسيح الغير المتناهى كما تجول أسراب الحمام فى آفاقها ، فيرتفع مثلها فوق المآذن إلى السحاب إلى ما وراء كل منظور .
هناك السكون بالارتقاء إلى الأوج الأعلى ، حيث لا شقاء ولا خداع . تقدم يا ملاك الموت وأطرق الباب فان وراءه روحاً أهرمها الدهر وهى مستعدة للرحيل .
أيتها الهواء الهاب على أغصان السروة القائمة كأسرار الأبد ، كل يوم أنتظر منك مناجاتى بساعة موتى وأنت فى أنفك ساكت عنها لأنها فى علم الله . ف . ف

تقولون إنكم مؤمنون ، ولكن ما أهمية جميع المؤمنين ؟ ما كان أحد منكم قتش عن نفسه قبل أن وجدتمونى ، وهكذا جميع المؤمنين ، فليس الإيمان شيئاً عظيماً . لذلك آمركم الآن أن تضعوني لتجدوا أنفسكم ، ولن اعود إليكم إلا عندما تكونون جددتموني جميعكم .

والحق ، يا إخوتى ، أننى فى ذلك الحين ، ساقتش عن خرافى بعين أخرى فأبذل لكم حباً غير هذا الحب سياتى يوم تصيرون فيه أصحاباً لى إذا ما وُحد بينكم الأمل الواحد ، عندئذ سارغب فى الإقامة بينكم للمرة الثالثة للاحتفاء بانوار الهاجرة العظمى .

وستبلغ الشمس الهاجرة عند ما يصل الناس إلى منتصف طريقهم بين الحيوان والإنسان الكامل ، وعند ما يرون أملهم الأسمى على منتهى السيل الذى يقودهم إلى الفجر الجديد فى ذلك الحين يتوارى من يسير إلى الجهة الثانية وهو يبارك نفسه إذ ترتفع شمس معرفته لتسكب الهاجرة لقد مات جميع الآلهة ، فلم يعد لنا من أمل إلا ظهور الإنسان الكامل . فلتكن هذه إرادتنا الأخيرة عند ما تبلغ الشمس الهاجرة .
هكذا تكلم زارا ...

ظهر الجزء الثانى من كتاب

المختار

من وضع الكاتب الشهير

عبد العزيز البشير

يشتمل على باين: الأول فى الفن والفنانين والثانى فى المداعب والفكاهات وهو محلى بالصورة التسمية لمشاهير الفنانين السابقين و بطائفة من الصور الكاريكاتورية الملونة رمزاً للموضوعات الفكاهية وبعض الطوائف التى حللها المؤلف فى هذا الكتاب

يطلب من مطبعة المعارف وكتبها بمصر